عبثوا بها كل العبث حتى ابتعدت عن امهاتها فغدت غير معروفة. وعليه لا نتعرض لذكر اكثر من هذا القدر. واللبيب تكفيه الاشارة. غير انهُ مما يجدر بنا ذكرهُ هنا هو ان هذه الاعتقادات تقلُّ او تكثر وتكون بهذه الصورة او بتلك الصورة حسب الاصقاع والقُرى والمدن التي يسكنونها او حسب الناس الذين يخالطونهم فلهذا لا يمكن ان يُحصَّل منها شيء تتَّخذ منهُ معتقداتهم على قياس واحدٍ عامٍ كما في سائر الاديان. وعليه فاقول لكل من يُحاول استقصاء البحث عن اليزيدية وعن ديانتهم قول الشاعر المشهور :

فقد وجدتَ مكان القول مُتَّسعاً فان وجدتَ لساناً قائلاً فقُلِ

(ستأتي البقية)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٥ آثار الرومانيين في لبنان (نتمَّة)

ومن اجلّ آثار الرومانيين في فينيقية اتخاذهم بيروت كمستعمرة رومانيَّة. فلمَّا كانت السنة ١٦ ق م قدم الشام اغريبا صهر اوغسطس قيصر وهو مقلَّد بالسلطان المطلق على كلّ انحاء سوريَّة. فكان اوَّل ما صرف اليهِ نظرهُ ان يقيم مستعمرةً يُحلُّ فيها الجنودَ المتقاعدين ممَّن امتازوا في خدمة الوطن. فلم يجد موقعاً اصلح شأناً وانسب مقاماً من بيروت فجعلها سكنى لفئتين (١ من الجند وهما الخامسة والثامنة المعروفتين بالفئة المقدونيَّة والفئة الاغسطيَّة. وكانت كلتاهما أبلت بلاءً حسناً في واقعة اكسيوم فأثابها القيصر باقطاعها مدينة بيروت

ولعلَّ الكتابة التي وجدها سيتزين (المشرق ٢: ٥٦٠) بين اطلال دير القلعة والوارد فيها اسم اغريبا تُشير الى هذا القائد منشئ مستعمرة بيروت. ويُحتمل ايضاً نسبتها الى

(١) وارسلت فرقة منهما الى بطلمايس فتسمرها فاحتلت هذه المدينة الشهيرة

الملك هيرودس اغريبا الاوّل الذي زيّن بيروت بعد ذلك بمدة بالابنية الفاخرة فتكون هذه الكتابة اثرًا يشهد لاهل المدينة بمعرفة الجميل والشكر

وما لا يُختلف في صحّته انّ صهر اوغسطس اعاد لبيروت زهاءها القديم بعد ان عبثت بها ايدي الزمان واخربها الطاغية تريفون. فاوعز الى جنده بان يشيّدوا فيها المباني الحسنة ويوفّروا فيها اسباب الهناء. فباشروا بذلك في السنة ١٥ ق م وواصلوا شغلهم بهمّة ألفها الرومانيّون في كلّ اعمالهم. وما عتّمت بيروت ان صارت مركزًا خطيرًا لادارة شؤون رومة في البحر المتوسّط الذي كان غلب عليه النفوذ اليوناني واصبحت مرقبًا يرصدون منهُ كلّ من يعادي فتوحاتهم الجديدة فيقطعون للحال دابر اصحاب الفتن (١

وكان الفضل في رفع قدْر بيروت لاغريبا المذكور ولعلّهُ هو الذي تولّى بنفسه هذا العمل الاثير والمنجزهُ بوقت قريب (٢ ودُعيت بيروت منذ ذاك الوقت « المستعمرة يوليا ارغسطا السعيدة » خصّها الملك اوغسطس بهذه الاسماء المشرفة باسم يوليوس قيصر وابنتهِ يولينا واسمهِ الشخصيّ واضاف الى ذلك لقب « السعيدة » مؤذنًا بحُسن موقع بيروت وصفاء جوّها وكثرة خيراتها. وضُربت في بيروت نقود المستعمرات تمثّل جنديًا يفلح الارض

فلم تمضِ على بيروت الّا زمنٌ قليل حتى امتزج سكّانها الاقدمون بالمستعمرين الرومان امتزاج الماء بالراح فكان من يحتلّ البلدة يحسبها مدينةً رومانيّة لتغلّب عوائد الرومان ولسانهم واسماؤهم عليها. والشاهد على ذلك الكتابات اللاتينيّة العديدة المكتشفة في بيروت. ولا ترى من الخطوطات اليونانيّة الّا اليسير وهي احدث عهدًا من الكتابات اللاتينيّة (٣. بل ظهر ايضًا في بيروت نقوذ آلهة رومة فاخذ الفينيقيّون شيئًا من شعائرهم الدينيّة كما اثبتنا ذلك في اثناء كلامنا عن دير القلعة

---

١) راجع تاريخ الرومانيين للعلّامة مُمسن Mommsen : *Röm. Geschichte*, V, 459

٢) راجع ما كتبهُ في ولاية اغريبا في الشام المؤرّخ جرلاخ H. Gerlach : *Die röm. Statthalter in Syrien u. Judæa* p. 16

٣) ومنذ بضعة اسابيع قد عثرنا على كتابتين جديدتين على مقربة من البلد سننشرها بالطبع عمّا قليل ان شاء الله

ولم تكن الاقطاعات الموقوفة على المستعمرة البيروتيَّة منحصرة في ضواحي البلدة والبساتين المجاورة بل كانت تشمل الجبال المشرفة على المدينة وتمتدّ من ثمّ الى ان تبلغ قسماً من البقاع الى جهات منبع نهر العاصي

وفازت بيروت بارتقائها الى رتبة مستعمرة رومانيَّة بامتيازات عديدة منها انّ اهلها لم يدفعوا الجزية واستقلالها من حكم والي الولاية. فاضحت كأنّها دولة صغيرة في ضمن الاملاك الرومانيَّة في الشرق تتصرَّف باحكامها كالعاصمة نفسها. وكان لها على مثال رومة حاكمان (duumviri) يُرجع اليهما في التدبير يحلّان ويعقدان ويأمران وينهيان كقناصلة رومية السنويين ولها دار ندوة يجلس فيه للبحث عن صوالح المدينة مئة من رؤساء الاعشار (décurions). وممّا ازدانت به المدينة من البنايات على شبه رومية ساحةٌ كبرى (forum) يجتمع فيها الجمهور وملعبٌ للملاهي العموميَّة ولعلَّها ايضاً حضت بهيكل كهيكل المشتري في رومية (Capitole). وكان الاهلون يختارون بنفسهم ولاتهم وحكّامهم دون ان تتداخل رومة في شؤونهم ما لم يضطرّها الى ذلك الشغب واقتراق الكلمة بين السكّان

فكلّ هذه الامتيازات التي ظفرت بها بيروت اثارت في اهل المدن المجاورة لها الرغبة في نوال رتبة الاستعمار

وقد زعم بعض الكتبة انّ مدرسة الفقه الروماني التي اشتهرت بها بيروت بعدئذٍ(١ كان انشاؤها في هذا الزمان. الّا اننا نرجّح قول الذين ذهبوا الى انّ هذه المدرسة ترتقي الى اواسط القرن الثالث للمسيح. وانّما كانت بيروت منذ حلول المستعمرين فيها محطّاً للطلبة الدارسين وصار مذ ذاك الحين لمدارسها شهرة عظمى. ومن جملة الفنون التي كان يعكف الاحداث على اتقانها العلوم الادبيَّة بفروعها. وقد اصاب احد اساتذة بيروت اسمهُ مرقس ڤاليريوس پروبس قصبة السبق بين علماء زمانهِ في المعارف وفنون الادب(٢ حتّى انّ بيروت عُدَّت بسببهِ كحاضرة العلوم في المشرق(٣

وكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويح النفس يؤثرونها على ما سواها من المدن

١) راجع Nonnus: *Dionysiaques* 391-398

٢) راجع تاريخ سويتون Suetonius: *De illustr. Grammaticis* XXIV

٣) راجع مومسن Mommsen, *l. c.* 459

الساحليَّة. وفيها كان ولاة الشأم يقيمون الحفلات والمحاكم القضائيَّة كما فعلوا في قضيَّة سيلَّاي (Scillai) وهيرودس الكبير قضوا على سيلَّاي وهو وزير ملك النبط عبوداس ان يدفع لهيرودس خمسين وزنة فضَّة(١ وان يكبح جماح قبائل البدو من العرب. وفي بيروت ايضاً قضى هيرودس المذكور ظلماً على اسكندر وارسطابولس ابنيه من مريمنة المكابيَّة

ومن المدن التي نالت من سجال فضل الرومانيين مدينة جبيل وان كانت حفائرها دون حفائر بيروت بكثير وآثار الرومانيين في المدينة العاديَّة بيِّنة من جملتها خطوط لاتينيَّة وجدت بين اطلالها الدارسة (٢

وكذلك ترى في قرية جونية مع ما يحيط بخورها من الضياع دلائل تنبئ بمرور الرومانيين بها فمن ذلك الانصاب التي كانت تقام في جوانب الطرق للدلالة على المسافات ومنها جسر المعاملتين التي سيأتي ذكره. وفي اسامي القرى دلائل اخرى على الآثار الرومانيَّة واليونانيَّة في لبنان مثل غسطا (Augusta) ودفنة (Δάφνη) وبلونة. ومن ذلك ايضاً نواويس وعليها كتابات لاتينيَّة ترى في لبنان وفي دير بيت خشبو واحد منها (٣

الَّا انَّ الرومانيين لم يكتفوا بتدوين الكتابات الدالَّة على ملكهم. فلمَّا كانَّ الله جبلهم على السياسة والعمل لم يحتلُّوا بلداً دون ان يباشروا فيه اشغالاً خطيرة واعمالاً اثيرة تؤول كلها لمنفعة رعاياهم كالقنيّ تجلب بها المياه الى اهل المدن من منابعها البعيدة. وقد سبق لنا ذكر قناة دير القلعة (ص١٢٥) وقناة نهر الكلب لسقي المزروعات في شمالي النهر (٢ : ١٠٨٩)

وفي لبنان قنيّ غير هذه المذكورة بل هي اعظم منها شأناً واحسن بنياناً. فمن ذلك القناة الضخمة التي كانت تجري بها مياه نهر بيروت وتُعرف اليوم بقناطر زبيدة وهي بلا شكّ من آثار الرومانيين

---

١) كانت وزنة الفضَّة تساوي في ذلك العهد ٦٧٢٠ فرنكاً

٢) راجع Mission de Phénicie, p. 164, 192, 280

٣) Ibid. p. 328 راجع ايضاً في تاريخ مسبن (ص ٤٤٧) الفصل الذي به بيَّن ما كان لاقليم سوريَّة عند الرومانيين من الاعتبار والخطارة

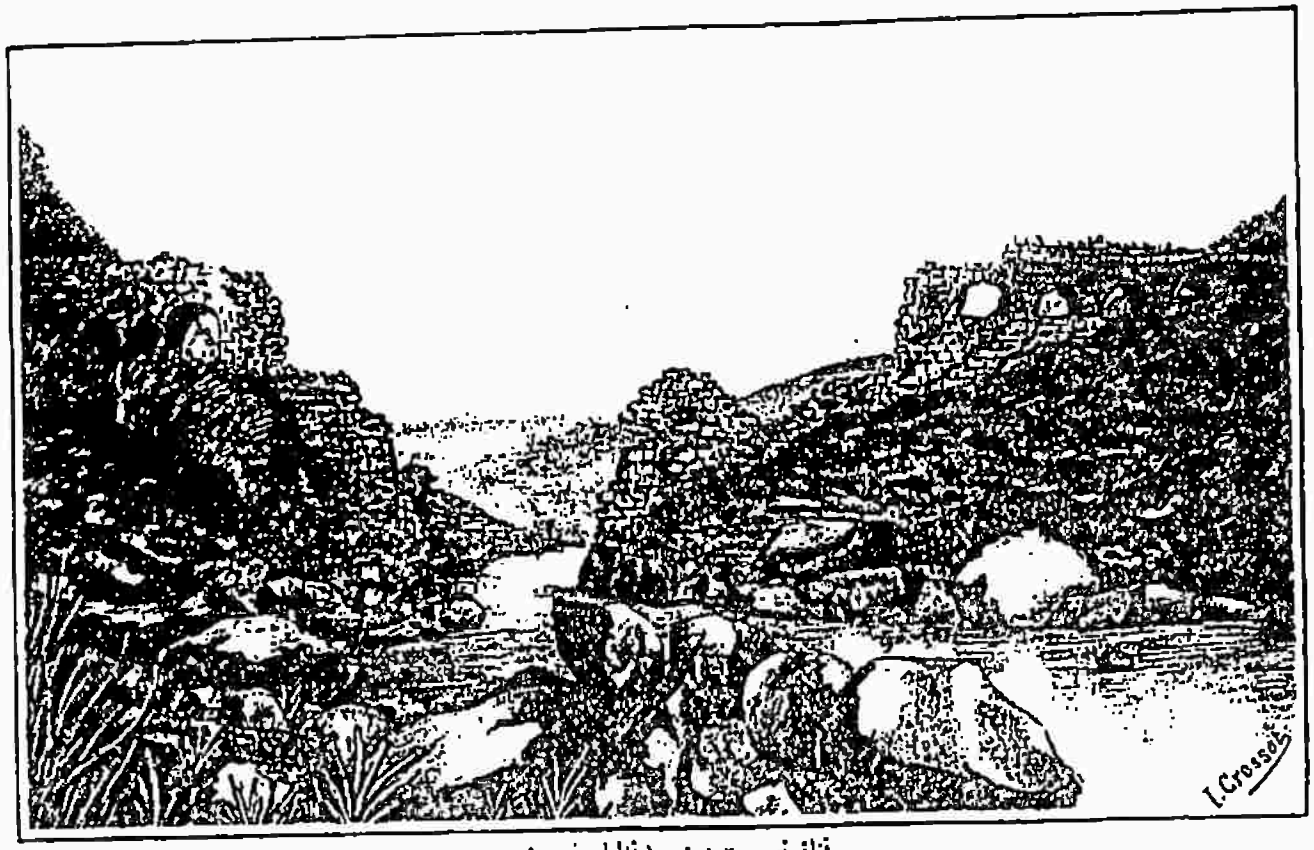

قناة نهر بيروت (مناظر زيدة)

وقد بُنيت هذه القناة بنحيت الحجارة الكبرى وكانت تمرّ بوادي النهر فوق جسر عظيم ذي ثلاث قناطر راكبة بعضها فوق بعض لا يزال منهُ الى يومنا بقايا حسنة يبعد ميلين عن بيروت في شماليها بيد انَّ الصف الثالث من القناطر قد تهدَّم وهبط ايضاً وسط الجسر فلا سبيل الى ان تجري فيهِ المياه. وكان علوّ هذا الجسر يبلغ عند تمامهِ خمسين متراً وطولهُ ٢٤٠ (انظر رسم هذه القناة)

امَّا زمان بنائهِ فليس من دليل عليهِ فانَّهُ لم يُكتشف حتى يومنا شيء من الكتابات المترجمة عن احوالهِ. الَّا انَّ متانة شغلهِ وهيئة بنائهِ الحكم تنطق بلسان حالها عن اصلهِ الرومانيّ ومما يبيّن انَّ هذه القناة بقيت قروناً طويلة تجرّ المياه الى بيروت ان في مستودعها وجدرانها الداخليَّة راسباً سميكاً من المواد الكلسيَّة التي اجتمعها المياه في مرّها. ولعلَّها خربت في الزلزلة التي حدثت في ايام يستنيان الملك لمَّا صارت بيروت رديماً تنعق عليها الغربان

وكانت المياه بعد ان اجتازت الجسر المذكور تلج في نفق (سرب) ينفذ في الجبل مسافة طويلة وينتهي الى السهل حيث جرت منهُ بقايا على الزمان وكانت تجري المياه في منعطف الاشرافيَّة فوق مسير السكَّة الحديديَّة الحاليَّة. وكانت القناة تفضي الى المدينة مارَّةً تحت مدرسة الحكمة للموارنة. وقد حسب حضرة الاب جوليان اليسوعي انَّ هذه القناة كانت تغني البلدة في كلّ ثانية بمتر مكعَّب من الماء اعني خمس عشرة مرَّة ازيد من ادوات الشركة الانكليزيَّة حالاً (١

وكان الرومان قد ابتنوا في سوريَّة قناةً رابعة كانت غايتها اجتلاب المياه من نهر ابرهيم الى جبيل الَّا انَّ آثارها ليست كآثار قناة بيروت

وما يحسن بنا قولهُ انَّ الرومان لم يكونوا ليرضوا بالمياه المجلوبة في قنيهم الَّا ان تكون صافيةً نقيَّة من كلّ الاقذار ولذلك كانوا يباشرون بعملها عند رؤوس الينابيع ويقرونها بالصخر الاصمّ او يبنونها بحيث لا يدنسها شيء من الاوساخ فيغطُّونها بصفيح الحجارة. وفي عملهم هذا عبرة للشركة الحاليَّة لتصون المدينة من جراثيم الامراض التي تسببها الاقذار الداخلة في القناة لاسيما بعد امطار الخريف حين تجرف السيول الى القناة اجساماً غريبة تنبثُّ بانحلالها في المياه كلّ انواع الجراثيم الفاسدة (ستأتي البقيَّة)

١) راجع مجلَّة الرسالات الكاثوليكيَّة Missions Cath. 1894,p. 429-430 وفيها مقالة حسنة عن قناة بيروت الرومانيَّة